دير* أطلس بني ملال من المركزية التاريخية إلى التهميش المعاصر.

ذ. فنيك عبد الواحد.
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش
وكلية العلوم الإجتماعية بانجي، المغرب.
البريد الالكتروني : *abdofinigue@gmail.com*

تاريخ الإرسال: 09/ 10/ 2018؛ تاريخ القبول: 21/ 12/ 2018

الملخص:

تشكل المجالات الديرية مجالات مهمة جدا في توازن المنظومة المجالية، بحكم موقعها الجغرافي كحلقة وصل بين العالية والسافلة، وكمجال انتقالي بين القمم الجبلية وصعوبة التضاريس والمناطق المنبسطة بالسهول، ودير أطلس بني ملال بحكم موقعه الاستراتيجي بين جبال الأطلس المتوسط الجنوبي وسهل تادلا، لعب أدوارا محورية في تاريخ المنطقة خاصة والمغرب ككل، لكن في العقود الأخيرة وبفعل التحولات التي عرفها انتقل الدير من مجال مركزي قادر على تحقيق التنمية إلى مجال ثانوي بل يعيش أزمة حقيقية ساهمت في طرد سكانه نحو المدارات المسقية للسهل.

الكلمات المفتاحية: الدير؛ الجبل؛ السهل؛ التنمية المجالية.

Abstract:

The areas of the Dir (Piedmont) are very important areas in the equilibrium of the space system, because of its geographical position as a link between the high peaks and areas of the plain and the Dir Atlas Béni

* الدير : كلمة أمازيغية تطلق على الحزام أو على صدرية الفرس التي يتزين بها أو التي تحمي الفارس والحمولة من السقوط، ومن الناحية الجغرافية فهي تطلق على "قدم الجبل" لتعبر عن الحزام الفاصل بين العالية والسافلة.

Mellal due to its strategic location between the southern mid-Atlas Mountains and the Tadla Plain. It has played very important roles in the history of the region in particular, and Morocco in general, but the transformation of Dir in recent decades has grown from a central zone able to develop to a secondary zone, and knows a real crisis, that facilitated the expulsion of its population towards the irrigated lands.

Keywords: Dir(piemont); mountan; plain; landscape development.

مقدمة:

أدى المجال الديري عبر التاريخ عدة أدوار ووظائف، والمقصود في هذا الصدد بالأدوار والوظائف كل الخدمات والعلاقات التي كان يقدمها هذا المجال خلال فترات زمنية مختلفة للمجتمع (الساكنة المحلية) للدولة وللاقتصاد، وذلك من خلال تتبع مسار التنظيم المجالي للدير.

والهدف من هذا الرصد هو تحديد مكانة الدير ضمن المنظومة المجالية (العالية، الدير، السافلة) بصفة عامة، ودير أطلس بني ملال بصفة خاصة ونسعى من خلال هذا الفصل إلى الوقوف عند أهم التغييرات والتطورات، التي عرفتها هذه الأدوار والوظائف مع محاولة تفسيرها، كما نسعى إلى تحديد العلاقات بين الدير وباقي مكونات مجاله الجغرافي، وتحديد مكوناته القبلية ودورها في تنظيم مجالها وتدبير المتوفر من موارده، كما سنعالج مسألة الاستمرارية والقطيعة في أدوار الدير وهويته في ظل التحولات التي يعيشها الدير خاصة والمغرب عامة، وكيف تحول مجال الدير من المركزية التاريخية إلى الهامشية المعاصرة؟ فما هي مظاهر التحول التي عرفتها وظائف الدير؟ وما العوامل المفسرة لهذا التحول؟

1 -الوظائف التاريخية للدير:

يستوجب الوقوف عند الدور التاريخي لمجال معين، الاضطلاع على المراجع التاريخية والكتابات الجغرافية القديمة وكتب الرحلات وكتب المسالك والمماليك التي تمدنا بمعلومات قيمة رغم شحها وتشتتها، تطلب منا الأمر جهدا لترتيبها وتمحيصها للخروج بما يفيدنا في هذه المسألة، وعند عودتنا لهذه المراجع

نلاحظ أنها على العموم لا تفصل منطقة الدير عن انتمائها الجهوي لإقليم تادلا، فكل المراجع التي تطرقت للمنطقة تتحدث عن الدير كجزء لا يتجزأ من جهة تادلا، لكنها تفصله كمجال متميز عن السهل من حيث الخصائص الطبيعية والبشرية وكذلك من حيث الوظيفة التي يؤديها كل من المجالين، كما أنها تعتبر الدير مجالا متميزا عن باقي مكونات الجهة سواء الأعالي (الجبل) أو البسيط (السهل)، من حيث التنوع الاقتصادي فلاحة وتجارة بل وحتى صناعة، كما أنه مجال استقرار بشري تنتشر به العديد من المراكز الحضرية التي كان لها دور أساسي في تدبير الشأن العام بالدير، إضافة إلى أهمية الموارد الطبيعية (ماء، مراعي، تربة، غابة..).

كل هذه العوامل جعلت الدير يحتل منزلة الريادة في الفعل التاريخي بالمنطقة، حيث كان المجال الأكثر استقطابا وإغراءا لكل الدول المتعاقبة على حكم المنطقة منذ المماليك الأمازيغية القديمة، فقد عرف استقرارا بشريا قديما جدا سابق للفترة الإسلامية شارل دو فوكو يشير إلى " انتشار العديد الكهوف القديمة على طول الشريط الفاصل بين أفزا وصولا إلى داي التي كان يسكنها السكان القدامى" وكذا وصولا إلى كل الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم المغرب، وذلك نظرا للموقع الجيوستراتيجي الذي يحتله الدير، الذي جعل جميع القوى المتعاقبة على حكم المغرب تسعى جاهدة من أجل السيطرة على تادلا، وبالضبط المراكز التي تنتشر على طول منطقة الدير، نظرا لما تكتسيه من أهمية في حماية المبادلات التجارية، بين فاس في الشمال ومراكش في الجنوب وبين القبلة (الشرق) حيث الجنوب الشرقي والغرب حيث الساحل الأطلنتي (التوفيق أحمد، 1978: 236).

وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن الدور التاريخي الذي لعبه الدير في المنطقة، يستمده من الدور الذي منحه المخزن لهذا الشريط الحيوي الضيق، حيث جعله بمثابة "الليمس" أو الجدار لحماية مجاله الحيوي المتمثل في سهل تادلا والطريق التجارية " الطريق السلطانية " بين فاس ومراكش وهو من الناحية

التاريخية يعتبر بمثابة الحد الفاصل بين المجالات السائبة التابعة للقبائل، والمجالات النائبة التي تخضع لجبروت السلطان.

لذلك نجد على امتداد الدير حصون وقلاع عسكرية، الهدف منها هو الحد من التمدد المستمر للقبائل الأمازيغية الساكنة بالجبال نحو أراضي السهل التادلي، كما تشير المصادر التاريخية، إلى كون مراكز الدير بمثابة أسواق للتبادل التجاري بين ساكنة السهل والجبل (RIBOULAT, R.B 1949 :48)، أكثر من كونها مراكز تعتمد على الفلاحة نظرا للضعف التقني الذي تعاني منه ساكنة المغرب عامة، أضف إلى أن الساكنة تعتمد على الرعي، أكثر من الزراعة نظرا لضيق المساحات الزراعية بالدير، فكان من المحتم على القبائل "الديارة" البحث عن المراعي في المناطق الجبلية القريبة، وفي السهول من خلال العديد من التعاقدات، وتبادل المصلحة بين القبائل المتجاورة والمتعايشة (بوكاري، 1992 : 99).

1 -1 -الدير مجال استقرار بشري وتمدين قديمين:

إن السؤال الذي ينبغي الإجابة عنه في هذه النقطة، هو ما الذي يجعل الدير مجال استقرار في مجال التادلي يتميز بنمط الترحال وعدم الاستقرار؟ سهلا (قبائل بني هلال العربية)، التي تعيش على الترحال بحثا عن الكلاء لقطعانها، بين الدير والهضبة الوسطى مرورا ببسيط تادلا(BARHOMI 1988 : 168)، وكذلك في الجبل نجد القبائل الأمازيغية، التي تتنقل بين مراعي الصيف في الجبل (ألمو) ومراعي الشتاء في الدير والسهل (أزاغار)؟

تشير المصادر التاريخية في العديد من المواقع، إلى أن منطقة الدير كانت تعرف انتشار العديد من المراكز منذ القديم، حيث وجدت الدول المتعاقبة على حكم المغرب في منطقة الدير العديد من المراكز الحضرية القديمة سابقة للتواجد الإسلامي كمركز "داي" الذي كان يلعب منذ ذلك التاريخ دورا اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا مهما.

ووصف الشريف الإدريسي مدينة داي بأنها " تقع في أسفل جبل خارج من جبل درن، وهي صغيرة لكنها كثيرة العمران، والقوافل عنها واردة وصادرة...، .ويزرع بها وبأرضها كثير من القطن كما هو بتادلا وبهاتين البلدتين أرزاق ومعايش وخصب ونعم شتى وأهلها أخلاط من البربر(الأمازيغ) " (الشريف الادريسي : 221 و 240) يدل هذا القول أن مدينة داي التي هي " بني ملال" حاليا على الأرجح، كانت تلعب مجموعة من الأدوار بفعل موقعها المهم الذي تحتله المدينة في منطقة الدير، علاوة على الدور الإجتماعي، الذي يتمثل في كثرة العمران أي كثرة المباني وما يعني ذلك من كثرة سكانها، ثم إن المدينة عبارة عن سوق للتجارة، ترد إليها القوافل من كل الجهات.

ويعبر هذا على القوة والنفوذ اللذين كانت تتمتع بهما مراكز الدير خلال القرن 16م، حيث أن فشتالة مثلا كانت مدينة كبيرة يحيط بها سور عملاق، وأن هذه المدينة ارتقت إلى مستوى العواصم الجهوية آنذاك، وهذا واضح من خلال نفوذها على باقي المراكز الأخرى داخل تادلا سهلا وجبالا وفي الاتجاه نحو الجنوب، نجد أن الدير لم يكن فارغا من السكان والمدن، فقد أوردت العديد من المصادر أخبارا كثيرة عن حاضرة "بزو"، التي اشتهرت بقدمها منذ عهد المرابطين والموحدين، وتم استيطانها من طرف قبائل هسكورة أحد بطون المصامدة، وقد اشتهرت المدينة بكونها سوق تجارية، لتبادل سلع الجبل(المواشي) ومنتوجات السهل (الحبوب).

1 -2 - الدير كمجال إشعاع ثقافي كبير:

أشارنا سابقا إلى أن الدير عرف تمدنا قديما، لذلك من البديهي أن يصاحب هذه الظاهرة إشعاع ثقافي كبير، مارسته المراكز السابقة على محيطها التادلي، فالمدينة حسب التعريف الجغرافي تعرف بكونها مستوطنة بشرية ذات كثافة سكانية مرتفعة، وتقدم وظائف متعددة تمارس من خلالها إشعاعا واستقطابا وتأطيرا للساكنة المحيطة بها. هذه الخصائص كانت متوفرة بمدن

الدير القديمة كداي وتفزة وبزو، التي كان لها دور كبير في الإشعاع الثقافي بالجهة ككل، فقد أصبحت هذه المراكز عامل جذب لطالبي العلم والمريدين، من خلال تواجد العديد من الزوايا كالزاوية الدلائية والزاوية الصومعية وزاوية فشتالة وزاوية سيدي الصغير بن منيار...، والتي تعد فروعا للزاوية الناصرية بدرعة والسملالية بسوس.

وهذه الزوايا كان الناس يفدون إليها من السهول والجبال، طلبا للعلم من علمائها الكثر، الذين برزوا في المنطقة، حيث نجد عبد العزيز الفشتالي، الذي عاش وعاصر أحمد المنصور الذهبي(توفي 1603)، وكان شاعرا للسلطان ومدير ديوانه خلال القرن نهاية 16م، وألف العديد من الكتب والأشعار، ثم نجد إبن الزيات مؤلف كتاب " التشوف إلى رجال التصوف "، وكذلك أحمد الصومعي صاحب كتاب " المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى" وغيرهم كثير ممن ساهموا في إغناء المشهد الثقافي المغربي، إضافة إلى بعض النوازل الفقهية حول الماء وقضاياه.

يدل تواجد هؤلاء الفقهاء على أن المدن بالدير، وصلت إلى مستوى مهم من التمدن والتحضر، حيث كانت هذه المدن تحج إليها القبائل للتبرك والتعلم، هذا ما تشير إليه المصادر والمراجع التاريخية، إلى أن الزوايا التي ازدهرت بمدن الدير، كانت تقدم خدمات التعليم للعديد من الطلبة بهذه المراكز، والمناطق المجاورة التي ترسل العديد من طالبي العلم للتعلم على يد فقهاء الدير.

وبذلك تكون مراكز الدير، بمثابة منارات ثقافية في ظل مجال يعاني من سيادة قبائل غير مستقرة في الغالب، لذلك يضمحل فيها الاهتمام بالجانب الثقافي، وهو الأمر الذي حاولت مراكز الدير أن توفره، وقد نجحت إلى حد كبير في هذا المسعى، وهكذا تكون مراكز الدير القديمة (داي، تفزا، بزو، دلاء..)، قد لعبت دورا محوريا في الحياة الثقافية للمجال التادلي، وما إليه من الجبال والهضاب (الهضبة الوسطى)، يمكن مراجعة كتاب الزاوية الدلائية ل (محمد حجي) في هذا الصدد.

2 -الدور الاقتصادي لدير أطلس بني ملال:

2 -1 - النشاط الزراعي أساس الاقتصاد المحلي بالدير :

جعل وجود الينابيع المائية والتربة الخصبة وإعتدال الإنحدارات...، إضافة إلى تراكم الخبرة الزراعية لدى الفلاح الديري، من النشاط الزراعي مزدهرا بشكل كبير ويساهم في تقوية الإقتصاد المحلي، بل جعله معروفا على المستوى الوطني.

وإذا عدنا إلى المصادر والمراجع التاريخية، فإنها تمدنا بالكثير من الإشارات حول النشاط الزراعي بالدير، ولعل أبرزها ما ورد لدى البكري، والوزان ثم ابن خلدون، وشارل دو فوكو، ومارمول كاربخال، والتقارير العسكرية لفترة الحماية، فقد أشار "الوزان" أثناء حديثه عن أفزا (مدينة تاكزيرت حاليا) " ويوجد في هذه التلال على ضفة النهر، حدائق في غاية الجمال مليئة بجميع أنواع الأشجار المثمرة التي تشتهيها الأنفس، وأصحاب هذه الحدائق في غاية الكرم والظرف، بحيث يدخل كل تاجر غريب إلى حدائقهم، فيأكل من ثمارها ما يشاء" وهذا دليل على مدى كون هذه المنطقة غنية بنشاطها الزراعي، ومدى الكرم وحفاوة سكانها بالضيف، وقد ذكر في حديثه عن أيت عياض قرب أفورار الحالية إلى أنه " ينبع في المدينة عدة عيون تجتمع مياهها لتكون جدولا يسيل تحتها، وتقوم على ضفتيه بساتين عديدة للخضر والفواكه تنتج أصنافا جيدة من العنب والتين، وفيها أشجار جوز باسقة، بينما تمثل حدور الجبل أرضا مغروسة بأجمل أشجار الزيتون" (الوزان 1983 : 284).

وإذا عدنا إلى الرحالة الأوربيين، الذين زاروا المنطقة خلال القرن 19م ومطلع القرن 20م، نجدهم يعبرون عن هذا الغنى الزراعي لمنطقة الدير، فمثلا نجد "بيروني" الذي زار المنطقة مع السنوات الأولى من الحماية، يصف الثروة الشجرية بدير أطلس بني ملال، " تمتد عند قدم الأطلس، حيث تتوفر مياه السقي بساتين خلابة تضاهي بساتين صفرو، فإلى جانب أشجار الزيتون واللوز، الكثيرة

الانتشار في السفوح الدنيا من الجبال، تنمو أشجار البرتقال والمشمش والتين والتوت، وبعض أشجار النخيل خاصة في غرام لعلام وتاكزيرت وفرياطة وفم العنصر وبني ملال، وإلى جانبها تنمو شجيرات ورود ذات زهور رائعة يتراوح لونها بين الأصفر والأحمر"(PEYRONNET, R. 1919, :.49-62) ، ونلاحظ من خلال هذه الشهادة، أن "بيروني" الذي عاش بالمنطقة وقتا من الزمن، قد صنف الأشجار ووضع الزيتون في البداية، وهذا نابع من كون أشجار الزيتون كانت خلال القرن 19م، في كل الدير الممتد من دمنات إلى صفرو، ولم تكن صادرات المغرب في القرن 19م تخلو منه إلا نادرا، إما مصبرا أو زيتا أو طريا (MIEGE. J.L 1965 :214).

2 -1 -2 - مارست ساكنة الدير الرعي كنشاط اقتصادي ثانوي:

يعد الرعي أحد الأنشطة الاقتصادية الثانوية، التي كانت تمارسها الساكنة في الدير، ولا تزال إلى يومنا هذا، وأمام غياب دراسات متخصصة في هذا المجال، نصبح أمام إجبارية العودة إلى المصادر التاريخية التي تناولت المنطقة التي لا تزودنا إلا بإشارات قليلة جدا، بل ومتفرقة مما تطلب منا مجهودا أكبر لجمعها وتمحيصها، فإذا كان السهل في الماضي يعد مجالا للرعي بامتياز، نظرا لعوائق طبيعية بالأساس (مهدي محمد 2013 : 66)، والتي تتجلى في طابع المناخ الجاف والشبه الجاف وضعف الجريان السطحي، كان الإنسان التادلي يسعى لمواجهتها من خلال ممارسة الرعي كنشاط اقتصادي رئيسي، إلى جانب بعض الزراعات السنوية البورية كالشعير والقمح، وكانت هذه الأنشطة الاقتصادية حلا ملائما، للتأقلم مع الإكراهات الطبيعية، وكذا لعامل سياسي إجتماعي، يتجلى في انعدام الأمن والصراع بين القبائل والمخزن والقبائل فيما بينها.

هذا إذن واقع الرعي بصفة عامة داخل إقليم تادلا بسيطا ووعرا (Peyronnet ,1919,:23)، أما في الدير فالرعي حسب كل المصادر التي تم الإطلاع عليها، يبقى نشاطا فلاحيا ثانويا، ورغم هذا فهو ينتشر على طول مراكزه، وقد أشار "الحسن الوزان" إلى هذا الأمر عندما كان يتحدث عن منطقة

أيت عياض حيث يورد أن " أرض السهل خصبة كذلك تنتج كل أصناف الحبوب، وأرض الجبل جيدة لإنبات الشعير ورعي الماعز" (الوزان 1983 :325) وهذا دليل على أن الرعي كان من الأنشطة الإقتصادية التي يمارسها الإنسان الديري.

وعموما فالدير لم يغب عنه نشاط الرعي، سواء من طرف القبائل التي تقطنه، أو حتى التي تجاوره حيث تشد إليه الرحال في الشتاء، من طرف قبائل الجبل هربا من جحيم البرد، بينما تنتجع إليه قبائل السهل هربا من هجير الشمس الحارقة صيفا، وإذا كان استعمال الأرض في تادلا قد ارتكز أساسا على الرعي، عكس الدير الذي جمع بين الزراعة التي كانت الأساس إلى جانب الرعي، فإن توزيع القطيع يعكس لنا طبيعة الملكية والمكانة الإجتماعية، ويعبر تركز ملكية قطيع الأغنام عن تفاوت كبير بين الفئات المالكة للقطعان الكبيرة، والفئات المالكة لقطعان صغيرة وفئات الرعاة المسخرين لرعايتها، وقد كانت قيمة القطيع أكثر من قيمة الأرض في التمييز بين الفئات الإجتماعية، لأنه كان مصدرا للثروة، لذلك يدعى القطيع لدى القبائل الأمازيغية ب " المال " والسلطة (الرواية الشفوية 2014). ولعل هذا راجع إلى كون القطيع أفضل وسيلة لاستثمار الوسط الطبيعي والإنتفاع بمقوماته التي يغلب عليه طابع الجفاف وشح الماء (بنعلي عبد الرحيم 2004 :349)، ولا تزال القبائل الديرية تمارس نشاط الرعي حتى يومنا هذا، خاصة في منطقة بزو والمناطق التي تقل فيها الزراعة كارفالة، فم العنصر، لكن على العموم لقد تراجع هذا النشاط الإقتصادي من خلال تقلص مساحة المراعي بفعل التمدين السريع وانتشار الملكية الفردية، وتفويت أراضي الجموع.

2 -2 - النشاط الحرفي (الصناعي) في دير أطلس بني ملال نشاط إقتصادي قديم:

تذكر الدراسات والمصادر التي تناولت المنطقة في فترات سابقة للقرن 19م، أنه كانت تنتشر على طول دير أطلس بني ملال مراكز ومدن مهمة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وأن هذه المراكز تعرف تواجد العديد من الأنشطة الصناعية، التي كان لها شهرة واسعة على المستوى الوطني، وحتى الدولي في بلاد

السودان وأوربا (إيطاليا)، فقد أورد **الوزان** أثناء حديثه عن مدينة تفزة (فشتالة حاليا) وأفزا (تاكزيرت حاليا)، بأن نساء هذه المدينة كن يبرعن في صناعة البرنس والمنتجات الصوفية كالزرابي والأكسية، التي كانت تباع في فاس ومراكش وحتى في إسبانيا وإيطاليا، وكذلك ذكر أن مدينة بزو كانت تصدر زيت الزيتون، حيث انتشرت المعاصر الحجرية للزيتون، وكذا الأغطية والجلود إلى بلاد السودان، وتصدر هذه المدينة أيضا الجلباب البزيوي والمنسوجات الصوفية، التي تتميز بها منذ القرن 16م ولا تزال إلى اليوم، وقد ازدهرت هذه "الحيوية الصناعية"، التي عرفتها مدن الدير خاصة، بفعل توفر المواد الأولية الأساسية لصناعة النسيج كالصوف ووبر المعز، كما تمت صناعة الأدوات الفلاحية كالمحراث الخشبي، وانتشرت المطاحن المائية، التي كانت تدار بقوة الماء كسواقي عين أسردون مثلا، علاوة على انتشار صناعة الحدادة لصناعة الأدوات الفلاحية كالفؤوس والمعاول وحوافر الدواب من حمير وبغال وخيول.

وعرفت المنطقة بإنتاج الحصائر النباتية خاصة مع انتشار نبات الدوم، ويبرز "بيروني" أن " يهود بني ملال يشتغلون بصناعة المجوهرات الفضية والذهبية، إلا أن الحرفة التي كانت تبدو مزدهرة في بني ملال هي صناعة الزرابي والأخبية" (Peyronnet,1919 : 20) ولم تكن هذه الحرف منظمة، بل كانت تتم تحت الطلب، كما أشار الوزان وغيره، باستثناء الدباغة التي كانت حرفة قائمة الذات، مثل باقي المدن المغربية القديمة، ولا تزال أحياء في بني ملال القديمة تحمل نفس الاسم " دار الدباغين"، ويوجد هذا الحي في سافلة عين أسردون لتوفير المياه الكافية لغسل الجلود، وتوجد أحواض الدباغة ومملحات الجلد إلى يومنا هذا، لكنها تعرضت لإهمال كبير وتضررت العديد من مرافق هذه الصناعة، كما نجد هذه الحرفة بمدينة القصيبة.

يمكن القول أنه ورغم هذا النشاط الحرفي المهم، فقد كان نشاطا ثانويا لدى ساكنة الدير مقارنة بالفلاحة، ولذلك لم يصل إلى درجة النشاط الحرفي الموجود في المدن القديمة بالمغرب، ولذلك كانت التجارة ضرورية، لأنها

توفر ما لا يمكن الحصول عليه من منتجات في عين المكان، فما هو دور الدير في النشاط التجاري المحلي والوطني وحتى الدولي؟

2 -3 - الأهمية التاريخية للنشاط التجاري بالدير:

ليس هناك شك في أن تادلا كانت ممرا للتجارة السلطانية، التي كانت تربط بين العاصمتين فاس ومراكش، وقد كان للدير دور أساسي في التجارة على المستوى الخارجي، حيث أنه كان بمثابة حاجز واقي للطريق التجارية من كل التهديدات الأمنية التي يمكن أن تشكلها القبائل الأمازيغية بالجبال، وكان لمرور الطرق والقوافل التجارية من الدير له عدة نتائج إيجابية، حيث أن الدير لم يكن ممرا فقط أو مجالا لراحة التجار، بل انتشرت كما رأينا سابقا، على طول الدير العديد من المراكز التي كانت بمثابة أسواق يتم فيها نشاط تجاري مهم، حيث أنها تشكل نقط تبادل وتفاعل وإستفادت من هذا الوضع في تنمية إمكانياتها المحلية وتنويع منتوجاتها، حتى لا تبقى مجرد مستهلك للتجارة والسلع الخارجية.

كما اعتبرت هذه الأسواق بمثابة مراكز لتنظيم المجال الجهوي والتماسك الجهوي (MOHAINE. A 1997 :154)، وتمدنا المصادر وكتب الرحالة والجغرافيين الذين زاروا المنطقة بمعلومات مهمة حول النشاط التجاري بمراكز الدير، حيث ذكر "الوزان" في حديثه عن تفزة (فشتالة حاليا) أن " معظم سكانها تجار وصناع، أثرياء فيها نحو مائتي دار لليهود، يقصد تفزة عدد وافر من التجار الغرباء يباع بتفزة على الخصوص أدوات مصنوعة بفاس، كالأقمشة والسكاكين والسيوف والسروج والشكائم (اللجم)، فإذا أراد التجار بيع هذه الأشياء عن طريق المبادلة سهل، عليهم ذلك لأن لأهل البلاد بضائع محلية مختلفة، كالرقيق والخيل والبرانس والنيلة والجلد والقرطبي..، وإذا أرادوا بيعها نقدا كان عليهم أن يخفضوا الثمن كثيرا، وتؤدى لهم حينئذ ذهبا بقطع شبيهة بالمثاقيل لكنها غير مسكوكة، ولا تروج نقود الفضة في هذه الناحية " (الوزان، 1983 : 32).

تجتذب هذه البضاعة التجار من جميع النواحي، وسكانها أغنياء يصنعون أقمصة جميلة وثيابا أخرى تسمى فشتالة تحمل إلى فاس ومراكش"

مارمول كاربخال، ص117 وقد أشار (R.B.Riboulat 1949 :36) أن مدينة بني ملال خلال فترة الحماية وقبلها كانت مركزا تجاريا مهما لتبادل منتوجات الجبل من المواشي، ومنتوجات السهل من الحبوب، كما أكد (E.F.Gautier 1916 :142) على وجود نشاط تجاري مهم بمدينة داي، من خلال عثوره على عملات نحاسية تعود إلى أزمنة قديمة.

ونخلص من خلال هذا التحليل أن دير أطلس بني ملال، لم يكن مجرد ممر لعبور القوافل التجارية، بل هو مجال لتواجد وانتشار العديد من المراكز التجارية المهمة، التي تفاعلت وتكاملت مع القوافل الآتية من الشمال (فاس) نحو الجنوب (مراكش) أو من الجنوب نحو الشمال، وأن منطقة الدير تمكنت من استثمار عائدات هذه التجارة البعيدة المدى في تطوير تجارة وصناعة محليتين، قادرتين على توفير سلع ذات قيمة مهمة في التبادل التجاري، ولها طلب وسمعة وطنية ودولية (بأوربا وبلاد السودان)، وخصوصا وأن كل المواد الأولية متوفرة لقوة النشاط الفلاحي زراعة وتربية المواشي بالدير، علاوة على تراكم الخبرة الصناعية والتجارية في المجتمع الديري، خاصة من طرف اليهود والساكنة المحلية.

3 -التركيبة القبلية وآليات تنظيم الحياة العامة بالدير:

3 -1 -الدير مجال استقرار العديد من القبائل:

إستقرت بالدير منذ قرون خلت العديد من القبائل، فنجد على امتداد هذا المجال، تواجد قبائل كانت تقسم المجال، وفقا لأعراف وقوانين خاصة ووفق معايير خاصة، ذلك أن التواجد في الدير ليس بالأمر السهل ولم يكن في متناول كل القبائل، إذ يستوجب ذلك الكثير من القوة والدفاع عن مناطق النفوذ والثقل الديمغرافي الكبير من أجل القدرة على مواجهة الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها هذه القبائل سواء من طرف السلطة المركزية (المخزن) الذي يقوم بحركاته المتكررة، أو ضد قبائل المنطقة، التي كانت في الغالب تتصارع حول الاستفادة من الموارد المتاحة : مياه وتربة ومراعي الدير، حماية الطرق التجارية (التوفيق، أ. 1978: 215).

ومن الصعب الحسم في هوية القبائل التي استوطنت بدير أطلس بني ملال، لكون المنطقة والمغرب بصفة عامة عرف تحركات وتنقلات متواصلة للقبائل بفعل عوامل متعددة (أقيوح الحسين 2005 : 54)، لكن من الأكيد أن هذه المنطقة عرفت تعاقب العديد من القبائل، التي عرفت حركة وديناميةمتواصلة بحيث كانت هناك قبائل تظهر وتختفي لتخلفها قبائل أخرى، بفعل الصراع واختلال موازين القوة لصالح الطرف الأقوى أو بفعل توالي الأوبئة (الطاعون) أو المجاعات بفعل الجفاف (كربوط محمد، 2000: 4133)، التي ساهمت مثلا خلال منتصف القرن 17م في تدعيم قوة العلويين بمنطقة الدير.

عموما يمكن الإشارة إلى القبائل التي تعيش بالدير منذ القرن 17م، ففي الجنوب نجد إتحادية هسكورة "إسكورن" التي تنتمي إلى أمازيغ مصمودة، التي شكلت الأصل العرقي للدولة الموحدية، ويرجح أن يكون عهد الموحديين هو بداية تواجد هذه القبائل بمنطقة دير أطلس بني ملال، وتستقر هذه القبائل منذ قرون، مقارنة مع باقي القبائل الأخرى، على طول الدير نظرا لإشتغالها بالزراعة والتجارة البعيدة المدى، وتتواجد هذه القبائل في بزو والنتيفا وارفالة، ثم نجد قبائل بني عياض التي تختلف المراجع في تصنيفها، لكن الراجح وحسب المراجع المتخصصة أنها من قبائل صهناجة، وإذا اتجهنا نحو الشمال نجد قبائل أيت بوزيد، التي تستقر بأفورار وتيموليلت وهي في الغالب من (القبائل المصمودية)، التي كان استقرارها قديما نوعا ما بالمنطقة (المالكي بن الجيلالي، 2014 : 265).

ثم نجد قبيلة أيت عطا نومالو أي (أيت عطا الظل)، وهم الذين يسكنون في السفوح الغربية لأطلس الكبير الأوسط والأطلس المتوسط سموا كذلك للتمييز بين قبائل أيت عطا ن لقبلت (أيت عطا القبلة)، وهي من قبائل صنهاجة الأمازيغية التي زحفت من الجنوب الشرقي للمغرب، هربا من الجفاف وبحثا عن مراعي كافية لقطعانها، ولعبت الظروف المناخية وقساوة ظروف العيش، عاملا دافعا للسكان نحو الدير، نظرا لما يوفره من ظروف ملائمة للعيش كالمراعي والحطب ومياه الري والزراعة، وقد كان للفجاج والأودية دورا بالغا في عملية مرور الرعاة، من قمم الجبال الأطلس الكبير وصولا إلى دير أطلس بني ملال (ع. مونير 2004 :

26)، وقد إنطلقت هذه القبائل من منطقة الأطلس الصغير بجبال بوغافر، حيث موطنها الأصلي، وهي قبائل متنقلة وقليلة الإستقرار لكونها كانت تبحث عن المراعي لقطعانها، وحاليا تستقر قبائل أيت عطا نومالو في واويزغت، كعمق إستراتيجي وسط جبال الأطلس.

وإلى جانب هذه القبائل نجد قبائل صنهاجية أخرى، ومنها أيت سخمان التي تعد من القبائل الصنهاجية، والتي استقرت بالمنطقة منذ قرون عديدة، وهذه القبائل إستقرت أساسا في المناطق الجبلية بالأطلس الكبير، وتشتغل في الرعي والزراعة على طول جوانب الأودية، وتعد من أكثر القبائل الثائرة على المخزن، وتستقر هذه القبائل حاليا في "أدوز" وفم العنصر وصولا إلى عين أسردون، التي كانت تحت سيطرة أيت سعيد وعلي حتى عهد قريب (الرواية الشفوية 2013)، ولعلى قصة تسمية العين بعين أسردون تحمل إجابة على هذه السيطرة لقبائل أيت سخمان على عين أسردون، ثم أخيرا نجد في أقصى شمال منطقة دير أطلس بني ملال حيث تستوطن قبائل أيت سري وهي الأخرى إحدى قبائل صنهاجة استقرت بالمنطقة منذ القرن 17م.

وتتكون هذه القبائل من أيت أم البخث بزاوية الشيخ، ثم أيت ويرا بالقصيبة وإمهواش وهم من فروع أيت سخمان في مجال أيت سري، ثم أيت عبدلولي بتاكزيرت، ولها إمتداد كبير يصل إلى قمم جبال الأطلس المتوسط بمنطقة بنشرو وناوور، حيث كانت تلجأ إلى هذه المناطق صيفا لاستغلال "إكدلان" أو المراعي الجماعية لرعي قطعان الماشية، أو هربا من جيوش المخزن (BELLAIRE.M 1909 :74) وإلى جانب هذه القبائل الأمازيغية التي استقرت في دير أطلس بني ملال، فقد إستقرت كذلك قبائل عربية من قبيل قبيلة بني ملال وأولاد امبارك العربية، التي تعود أصولها للقبائل الرعوية بني جابر من بني جشم ومن قبائل بني هلال العربية (البشير بوسلام، 1991: 185)، التي تم إدخالها إلى المغرب خلال القرن 12م أيام حكم الموحدين في عهد يعقوب المنصور بهدف حماية سهل تادلا، وبهدف خلق التوازن بين قبائل السهل والجبل ضمان لأمن الطريق السلطانية، وقد كانت قبيلة بني ملال من قبائل كيش أيت الربع، التي كان

المخزن يكلفها بحماية السهول التادلية من الإكتساحات المتكررة لقبائل الجبال والدير أيت سخمان وأيت عطا نومالو حتى القرن 19م (البشير بوسلام، 1991: 289).

فكيف يتم تنظيم العلاقات بين القبائل لضمان الإستمرارية والتوازن بين كل المكونات القبلية بالدير؟ وكيف يتم تنظيم العلاقات بين أفراد القبيلة الواحدة؟

3 -2 - آليات التنظيم القبلي بالدير:

3 -2 -1 - تاضا: أداة لتخفيف الصراع حول الموارد بالدير:

إن حركة التنقل التي اقتضتها الطبيعة البيئية -الاقتصادية والطبيعة السياسية لقبائل الدير، كقبائل في المواجهة والحذر المستمرين، قد أبرزت الحاجة إلى وضع قوانين وأعراف وآليات، من أجل الدفاع عن وجودها، ومصادر عيشها (المراعي والأراضي الزراعية، والموارد المائية)، وضمانا للتعايش والاستقرار في مجال يعد متميزا لكنه محدود بشكل واضح، ولا يستطيع استيعاب كل القبائل، وتعد "تاضا" وتعني "الرضاعة"، من أهم وسائل إرساء علاقات التحالف بين قبيلتين أو أكثر، يدعم قوة هذه الروابط طابعها الشبه الديني والمقدس، إذ لا يمكن أن يخرج أحد الطرفين عن هذا الإلتزام، لأنه ينجم عنه شؤم كبير (BARHOUMI,M 1988 :139)، وتعبر "تاضا" عن تحالف بين مكونات القبيلة الواحدة أو قبيلتين أو مجموعة من القبائل، وذلك من خلال تبادل الحليب بين أفراد القبائل أو ذبح الكبش من طرف القبيلة، التي ترغب في "التاضا " على شرف القبلية المراد التآخي معها، وعند قبول هذه الأخيرة، يصبح أفراد القبيلتين بمثابة الإخوة، وعليهم الإلتزام بالإلتزامات نفسها، التي تقتضيها الروابط العائلية الحقيقية داخل العائلة نفسها، من حماية الأخ واللجوء إليه وقت الشدة "(بورقية رحمة 1991 :96)، وتعد "التاضا " وسيلة لكسب الطابع الأبوي والأخوي في العلاقات، بين قبائل الدير فيما بينها، أو مع القبائل المجاورة في الجبل أو البسيط.

تعتبر هذه الآلية في الغالب عادة وتقليدا أمازيغيا شائعا عند العديد من القبائل الأمازيغية، فنجدها عند أيت عطا في الصحراء، وفي الأطلس المتوسط عند

أيت سخمان وعند بني مطر وزمور...، كما وجدت كذلك بعض النماذج في السهل، لدى قبائل أولاد إيعيش الملالية، لكن على شكل عقد مكتوب، بين أيت خويا الأمازيغية وقبيلة أولاد مومن العربية ، وتسمى أيضا على المستوى المحلي لدى القبائل العربية، ب"الرفود" أي عهد بالحماية والدفاع المشترك بين الأطراف المتعاقدة، ضد أي تهديد خارجي والتعاون في الأسواق، وضمان حرية التجارة بين أفراد القبائل المتحالفة (البشير بو سلام، 1991 : 64).

عموما فإن تاضا كانت وسيلة دفاعية، تعاونية وتنظيمية، كانت تلجأ إليها قبائل الدير، بغاية التخفيف من تأثير الظروف المناخية أساسا على مجال عيشها، حيث كانت قبائل الدير تسمح بنزول قبائل الجبل في الشتاء هربا من الثلوج وكذا تسمح بصعود قبائل السهل في حالة الجفاف والمجاعات إلى المناطق الجبلية، كما أنها تعتبر وسيلة لكسب الحماية والدفاع والقوة من طرف القبيلة ضد قبائل أكثر قوة وعتادا أو ضد المخزن (البشير بوسلام، 1991 : 69).

3 -2 -2 - تنظيم العمل داخل القبيلة: تويزا كآلية لمواجهة الضعف التقني بالدير:

أمام الضعف التقني الذي كانت تعاني منه الساكنة بالدير، على مستوى وسائل الإنتاج الفلاحي، جراء الإعتماد على المحراث الخشبي والدواب، وبفعل طابع الترحال وضعف الإستقرار، كان لزاما على القبيلة الديرية أن تطور آليات عملها، ومن هذه الآليات نجد " تويزا " وهو مصطلح أمازيغي يعني "العمل الجماعي"، وقد كانت تويزا تطبق خاصة في النشاط الفلاحي (زراعة ورعي) وكان يتم اللجوء إلى "تويزا" من أجل القيام بالأعمال الفلاحية كالحرث والحصاد والدرس ويساعد أفراد القبيلة بعضهم البعض في إنجاز هذه الأعمال الشاقة، وكانت القبيلة تقدم يد المساعدة، لمن يطلب منها ذلك، حيث كان يذبح لصالح القبيلة في باب المسجد أو الضريح، ويتم إقامة وليمة خاصة بالتويزا، تقبل من خلالها القبيلة مساعدة الفلاح، الذي طلب منها ذلك، إما لكونه يمتلك حيازات شاسعة ولا يقدر على حرثها أو حصدها بمفرده وإمكانياته الخاصة" (التوفيق، أ. 1978 :192)، كما كانت القبيلة خاصة تلك التي كانت ترحل في

اتجاه الجبل صيفا، تلجأ إلى "التويزا" من أجل حصاد ما زرعته من حبوب ربيعية هربا من أي حركة مخزنية محتملة وكان جميع أفراد القبيلة يشاركون في أعمال الحصاد والدرس وجمع المحصول.

وقد شهد هذا النظام الإجتماعي التكافلي التعاوني تحولات كبيرة خلال القرن 20م، حيث بدأ في التدهور خاصة بين الفلاحين الصغار في القبيلة، واقتصرت على بعض القواد الكبار وشيوخ القبيلة الذين يستفيدون من "التويزا" والتي تحولت إلى "الكلفة" خاصة في فترة الحماية والعقود الأولى بعد الإستقلال، رغم أنها بقيت مستمرة في المناطق الجبلية، نظرا لقوة العلاقات القبلية بين الساكنة، وقد شهد " عهد الحماية تطور العلاقات الإجتماعية والنزوع نحو الفردانية وتطور التعامل النقدي والإقتصاد الرأسمالي، ويعتبر ظهور العمل المأجور والأجر الشهري، سببا رئيسيا في تراجع آليات التويزا " (حواش، محمد. 2014).

4 -علاقات الدير بمحيطه العام: الدير مجال لتفاعلات حيوي:.

4 -1 -علاقة الدير بالجبل: الدير حاجز طبيعي للمنطقة الجبلية:

كان الجبل ملجأ آمنا لقبائل الدير في لحظات تاريخية كثيرة خاصة أثناء الحركات المخزنية التي كانت تستهدف بالأساس جمع الكلف والضرائب لصالح المخزن، أو تأديب بعض القبائل الثائرة.

وسرد الوزان ما حدث لمدينة تفزة، التي حاصرتها جيوش السلطان المريني، وتم فك الحصار بعد حصول قائد الجيش على أموال طائلة بلغت مائة ألف مثقال من الذهب، لم يحصل عليها السلطان من قبل حسب تعبير الوزان، كما كانت الجبال ملجأ لقبائل الدير، أثناء الزحف الاستعماري للفرنسيين، بل ودافعت القبائل الجبلية ضد احتلال مراكز الدير، كما فعلت قبائل أيت سخمان وأيت عطا دفاعا عن مدينة بني ملال حتى 1916، بل وإستمرت محاولات تحرير بني ملال من يد الفرنسيين حتى 1920، وكذلك دافعت قبائل أيت ويرا على القصيبة إلى غاية 1922، وتعد القبائل الجبلية عمقا ديمغرافيا لقبائل الدير حيث أن الروابط الدموية التي تجمع بين القبائل، إضافة إلى علاقات المصاهرة التي جعلت قبائل الجبل لا تتقاعس في دعم قبائل الدير في صراعها مع قبائل السهل، كما

حدث خلال نهاية القرن 19م بين قبائل أيت عطا الدير، التي طلبت مساعدة قبائل أيت عطا الجبل ضد قبائل السهل العربية.

هذا في الوقت الذي يشكل فيه الدير الخطوة الأولى، لمرور القبائل الجبلية نحو السهول من أجل الرعي والإنتجاع، فالدير عبارة عن ممر للرعاة للوصول إلى سهل تادلا، خاصة لقبائل أيت عطا نومالو وأيت سخمان **(مونير عزيز، 1999 : 36)**، والتزود بالمواد الضرورية للعيش كالشاي والسكر والزيوت، التي كان الدير يوفرها من خلال مجموعة من الأسواق الأسبوعية.

وهكذا فالدير تربطه علاقات وطيدة بالجبل، ذلك أن الجبل يعد عنصرا أساسيا في تكوين وتطور الدير، وأساس غناه، في حين أنه يعد بوابة الجبل للتخلص من العزلة الطبيعية، كما يعتبر بمراكزه الحضرية مجالا محوريا وجاذبا للساكنة الريفية، التي تعاني الفقر والحاجة والبطالة والأمية، لذلك تسعى لتحسين ظروف عيشها من خلال الهجرة نحو مراكز الدير، مما يساهم في الرفع من حجم السكان فيها.

4 -2 - علاقة الدير بالسهل: الدير جسر طبيعي للسهل:

تشير العديد من الدراسات التي اهتمت بالدير، إلى أنه أقرب من السهل أكثر من إلى الجبل من حيث الشكل المورفلوجي، فالدير يبدو من خلال المشاهدة البسيطة للسطح، أنه بمثابة سطح هضبي تتخلله تلال ومراوح بفعل نشاط عملية التعرية(SALOMON J-N, 2007 : 59) ويتميز مع السهل بعلاقة تفاعل حقيقية، حيث أن السهل ذو المناخ شبه الجاف وقلة التساقطات كان، ومنذ قرون خلت، يعتمد على الدير في العديد من الأمور، يعتمد على العيون المائية والأنهار الموسمية التي كانت تنبع من الدير كمورد أساسي لسقي المحاصيل الزراعية، ولا يزال جزء كبير من سهل بني موسى الشرقيين إلى يومنا هذا، يعتمد على مياه عيون وأنهار الدير.

كما يمثل بوابة لمرور الموارد الطبيعية الآتية من الجبل نحو السهل، فعبر الدير تمر المياه ومنقولات التعرية لتترسب في منخفضات السهل (LAOUINA, A 2010 :208)، في إطار تغذية العالية للسافلة بالمواد الرسابية، وبالتالي تساهم في

غنى التربة وخصوبتها، كما تمر الأخشاب والحطب من الجبل نحو السهل عبر الدير.

ومن الناحية التاريخية كان الدير بالنسبة للسهل مجال حماية، وحدا فاصلا بين السهل والقبائل الأمازيغية، ذلك أن المخزن كما رأينا سابقا أقام العديد من القلاع والحصون العسكرية، من أجل حماية سهل تادلا من القبائل الجبلية، وكذلك قام بتوطين القبائل العربية بالسهل خدمة لهذا الهدف الرئيسي (قبائل الكيش)، ففي عهد الموحدين تم جلب القبائل العربية كبني جابر وبني هلال من إفريقية (تونس)، من أجل تأدية هذه الوظيفة كقبائل أيت الربع أي نسبة إلى أربعة قبائل وهي (قبيلة سمكت وقبيلة كطاية وقبيلة بني معدان وقبيلة بني ملال) وإلى قسمة المجال والماء على أربعة أجزاء، التي دام وجودها ونشاطها كقبائل كياشة حتى نهاية القرن 19م، كما كانت مراكز الدير بمثابة أسواق تجارية تصرف فيها قبائل السهل بضائعها من غنم وحبوب، والتزود بالمنسوجات من خيام وسروج وشكائم وأواني فخارية، التي تصنع في مدن ومراكز الدير (التوفيق، أحمد، 1978: 359)

خاتمة:

الدير وبفعل موقعه الجغرافي المتميز ومؤهلاته الطبيعية المهمة، أهلته ليلعب دورا محوريا في تاريخ إقليم تادلا والمغرب، وذلك بفضل المراكز الحضرية المهمة التي انتشرت في مجاله، والتي ساهمت بشكل كبير في الحياة الاقتصادية والثقافية والروحية بالمنطقة. كما أن الدير كانت له أدوار تاريخية مهمة خاصة الدور العسكري الذي منحه له المخزن، حيث كان بمثابة حاجز دفاعي عن الطريق التجارية للسلطان، كما أنه لعب أدوارا إقتصادية مهمة، فالدير مجال الفلاحة والرعي والتجارة والحرف، كل هذا جعل من مراكز الدير ذات صيت وسمعة في المناطق المجاورة ديرا وسهلا، وفي مناطق بعيدة من المغرب بفاس ومراكش، وحتى في إيطاليا، والسودان. إضافة إلى أن الدير يتكون من عناصر قبلية متعددة : قبائل صنهاجية وأخرى مصمودية، إضافة إلى جزء يسير من القبائل العربية، وأن هذه القبائل لم يكن استقرارها بالدير أمرا متيسرا بل من خلال بدل

الجهد والتكتل والتحالف والاتحاد بين أفرادها، لمواجهة الأخطار المحدقة والمهددة لوجودها، وذلك من خلال تطوير اتفاقيات مشتركة للتحالف والدفاع (تاضا)، لأن الدير عبر تاريخه مجال للصراع قوى متعددة، كما أن القبائل طورت آليات للتعاون (تاويزا) لمواجهة الضعف التقني لدى الساكنة المحلية. وفي الختام فالدير عرف ويعرف تحولات كبيرة في بنيته ومكوناته المجالية: كتراجع المجالات الخضراء واختفاء "حزام الزيتون"، بفعل زحف التمدين السريع والعشوائي، وبدأ الدير يعيش اختلالات اجتماعية كأحزمة الفقر والبطالة والسكن العشوائي، مما جعل بعض مراكزه تعرف طردا للسكان، في الوقت الذي كانت في الماضي القريب والبعيد مناطق جاذبة للسكان.

قائمة المراجع:

- أقيوح الحسين، (2005): **النظام الحضري وتنظيم المجال بمنطقة درعة**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الانسانية، بني ملال.

-بنعلي عبد الرحيم، (2004): **حوض تادلا: من التطور البليورباعي إلى الاستغلال الهيدروفلاحي المستحدث**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية أكدال، الرباط.

-بوسلام محمد بن البشير، (1991): **تاريخ قبيلة بني ملال 1854 -1916 جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا**، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

-بوكاري أحمد، (1992): **ملاحظات حول كتابة تاريخ منطقة تادلة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، بني ملال، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

- بورقية رحمة، (1991): **الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدول بالقبائل في المغرب**، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

- حواش محمد، مداخلة في الندوة وطنية حول **المؤسسات الجماعية بالمغرب** 2014 لم تنشر بعد.

-التوفيق أحمد ، (1978): **المجتمع المغربي خلال القرن 19: إينولتان 1850 - 1912**، الدار البيضاء.

-الشريف الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، المجلد الأول الجزء السابع .

-كربخال مارمول، (1984) : **إفريقيا** ، ترجمة: محمد حجي وأخرون، الرباط، الجزء الأول.

-مونير عبد العزيز، (1999): **الجهاز الحضري لدير أطلس دمنات - بني ملال : مدن صغرى في تحول بطيء**، دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.

- مهدي محمد ، (2013): **رعاة الأطلس الانتاج الرعوي القانون والطقوس، ترجمة عياد أبلال وإدريس المحمدي**، الطبعة الأولى، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

-الملكي المالكي بن الجيلالي، (2014): **ثورة القبائل ضد الاحتلال**، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الجزء الأول.

-الوزان الحسن، (1983) : **وصف افريقيا** ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، ج.1.

- BARHOUMI, M (1988) : **Structures agraires et changement social dans la region de beni mellal**, Maroc, thèse de Doctorat Sociologie Paris 5.

- BELLAIRE.M (1909) : **Au Maroc les amputations et la loi religieuse**, Note : Extr de : R.M.M IX. 99-103 Edition : S.I Paris p74

- LAOUINA, A (2010) : **Gestion durable de l'eau et des sols au Maroc, Gestion durable des eaux et des sols au Maroc, valorisation des techniques traditionnelles méditerranéennes**, édi, IRD, Marseille, pp 195-233.

- MIEGE. J.L (1965) : **Le Maroc et l'Europe (1830-1894)**. Presse universitaire de France, Paris 1961.p214

- MOHAINE. A (1997) : **Les souks et l'organisation de l'espace régional dans le Souss (Maroc).** Geography. Universite Francois Rabelais - Tours, Tome1. pp 154-183.
- PEYRONNET, R. (1919) : Histoire du Tadla des origines à 1910, dans: **Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord**, n° 24, pp.49-62
- RIBOULAT, R.B (1949): **Béni Mellal centre d'échange entre la plaine et la montagne, mémoires de contrôle civiles** , archi, diplom. Nante. pp 48-65.
- SALOMON J-N, (2007) : **Cônes d'éboulis, de déjection, glacis, et piémont : essai de définitions** , Études de Géographie Physique, n° XXXIV, p 59